من النص إلى الخطاب دراسة مصطلحية في البنية والدلالات

From text to discourse, a terminological study in structure and semantics

د.صلاح الدين بوديلمي
جامعة باتنة –1– الجزائر
Salaheddine.boudilmi@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال:2022/03/02	تاريخ القبول:2022/05/15	تاريخ النشر:2022/06/10

الملخص:

تشكل عن المصطلحين (النص [Texte] والخطاب [Discours]) مفاهيم متشعبة ومتنوعة في الدّراسات اللسانية والنقدية، المعاصرة منها والقديمة، خصوصا في الدّراسات التّي تندرج تحت: تحليل الخطاب [Analyse du Discours] لسانيّات النّصّ [Linguistique du Texte] ونحو النّصّ [Grammaire du Texte]، وقد كان مرجع هذا التنوع والثراء في دراسة المصطلحين ومفاهيمهما إلى اختلاف التّحديدات المتعددة والتي تعود في جذرها إلى الاختلاف في منهجية التفكير وزاوية النظر المقررة في الحقول المعرفية، فحقل يرى تداخلا وتكاملا حاصلا بين المصطلحين (النّصّ) و(الخطاب)، وبالتالي لهما دلالة مشتركة، و حقل مختلف يرى أنّ هناك انفصالا مفاهيميّا يجعل كلا منهما مستقلا بمفهومه الخاص.

الكلمات المفتاحية: النص، الخطاب، تحليل الخطاب، الجملة، المعنى

Summary

The two terms (text and discourse) form complex and diverse concepts in linguistic and critical studies, contemporary and ancient, especially in studies that fall under: Discourse analysis, Linguistics of the text and Grammar, and the reference to this diversity and richness in studying the two terms and their concepts is due to the different definitions, which are rooted in the difference in the methodology of thinking and the angle of view established in the fields of knowledge. They have a common meaning, and a different field sees that there is a conceptual separation that makes each of them independent in its own sense.

1-مقدمة

احتلّ المصطلحان **النّص** [Texte] **والخطاب** [Discours] مساحة شاسعة في الدّراسات اللسانية والنقدية المعاصرة، خصوصا في الدّراسات التّي تندرج تحت: **تحليل الخطاب** [Analyse du Discours] **لسانيّات النّصّ** [Linguistique du Texte] و**نحو النّصّ** [Grammaire du Texte]، حيث اختلفت التّحديدات والمفاهيم لكلّ مصطلحٍ من هذه المصطلحات، وذلك لاختلاف زوايا النّظر إليها، ومن الملاحظ أيضا التّداخل الحاصل بين المصطلحين (النّصّ) و(الخطاب)، فمن يرى أنّ لهما دلالة مشتركة، ومن يرى أنّ هناك انفصالا مفاهيميّا بينهما، كما أن التراث اللغوي والأصولي العربي يزخر بتحديدات مفاهيمية للمصطلحين اختلفت أيضا لاختلاف زوايا النظر في كل حقل من الحقول المعرفية، وعلى هذا الأساس فإن هذه الدراسة تروم الإجابة عن مجموعة من التساؤلات التالية:

- ما الفرق بين النّصّ والخطاب؟
- وما دلالة مصطلحيهما في الموروث العربي والدراسات الغربية الحديثة؟
- وهل علاقة ما بينهما يمكن أن تكون؟

وعلى أساس الإشكالية السابقة سننطلق في دراستنا هذه من أجل تقصي المفاهيم الكلية والجزئية لمصطلحي (النص) و(الخطاب)، من خلال الاعتماد على الموروث اللساني والنقدي العربي في الكتب اللغوية والأصولية، وكذا مفاهيم المصطلحين في الدراسات اللسانية الحديثة والتي بالتأكيد أولت اهتماما خاصا بهذين المصطلحين.

2-النص [Texte]

يأتي النصّ ليسجّل حضوره في الاستعمالات اليوميّة للإنسان، فهو يفرض وجوده من منطلق أنه عنصر أساسيّ في الحياة الاجتماعية، " فالنّصوص المكتوبة والمطبوعة مثل : مقالات الصّحف هي نصوص، وأيضا مدوّنات المحادثات واللّقاءات المحكيّة نصوص أيضا، كذلك الأمر بالنّسبة إلى برامج التّلفاز وصفحات شبكة المعلوماتيّة"(1). ويمكن أن نقارب لمفهوم النّص وفقا للتّعريف اللّغوي ومفهومه في الدّراسات القرآنيّة، وأيضا في الدّراسات اللّسانيّة الحديثة.

2-1النص في المعجم العربي :

جاء في لسان العرب لابن منظور [ت711هـ] المادة اللغوية (ن/ص/ص)؛ تعني " النصّ وجمعه نصوص، وهو على وزن فعل، يقال: نصَّ ينصُّ نصّا، والنص رفعك للشيء. ونصَّ الحديثَ ينصُّه نصّا: رفعه، وكل ما أظهر فقد نُصَّ، ومنه المنصّةُ. وقال الأزهري [ت370هـ]: النص أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها، ومنه نصصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء، حيث تستخرج كل ماعنده وكذلك النص في السّير إنما هو أقصى ما تقدر عليه الدّابة (...) ونصَّ الشيءُ وانتصب إذا استوى واستقام "(2)، إذن فالنّص يأتي بمعنى الظّهور والإبانة.

2-2النص في التّراث الأصولي واللساني العربي:

لم يتحدّد بالضّبط مفهوم النصّ في التراث اللساني العربي، ذلك أن مفهومه يتداخل " ضمن منظومة مفاهيمية متناسقة منسجمة مثل الجملة والكلام والاتساع في الكلام والبيان بأنواعه والخطاب والتبليغ، فإذا كان النحاة العرب والبلاغيون لم يستعملوا مصطلح (نص) فلأنّ مفهومه كان مشغولا بواحد من المصطلحات الآنفة الذكر"(3).

وإذا كان النصّ لغويّا يعني الرّفع والظّهور فقد انتقل إلى الكتاب والسنّة، فأصبح يشار إلى الآيات المستدلّ بها في الأحكام نصوصا شرعيّة.

يعرّف الكفوي [ت1094هـ] في معجمه [الكليات] النصّ بقوله : " النصّ أصله أن يتعدّى بنفسه لأنّ معناه الرّفع البالغ، ومنه منصَّةُ العروس، ثم نُقِل في الاصطلاح إلى الكتاب والسّنة وإلى ما لا يحتمل إلاَّ معنى واحداً "(4).

أما الشريف الجرجاني [ت816هـ] فيعرف النص بقوله : "النصّ ما ازداد وضوحاً على المعنى الظّاهر لمعنى في نفس المتكلّم وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى كما يقال أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويغتمّ بغمّي كان نصّا في بيان محبّته، وأنّه " ما لا يحتمل إلاَّ معنى واحداً وقيل ما لا يحتمل التأويل "(5). ويتبيّن لنا أنّ تعريف الكفوي والجرجاني متقاربان إلى حدّ ما.

وبالنّسبة للأصوليّين فالنصُّ هو: " ما اتّضح المراد منه بمجرد سماع صيغته، من غير توقّف على أمر خارجي أو تأمّل، وقد سيق الكلام له، مع احتماله للتّأويل، وقبوله للنّسخ في عهد الرسالة "(6)، وعرَّف الإمام الفخر الرازي [ت604هـ] في مصنفه [المحصول في علم الأصول] النص أنّه " ما تكون دلالته على العلّيّةِ ظاهرةً، سواء كانت قاطعة أو محتملة "(7).

وممن فصّلوا في تعريف النصّ ومقاربة مفهومه في حقل أصول الفقه؛ حجة الإسلام أبو حامد الغزالي [ت505هـ] في مصنّفه [المستصفى] حيث أورد ما يلي: " النّص اسم مشترك، يطلق في تعارف العلماء على ثلاثة أوجه(8):

- الأول: ما أطلقه الشافعي رحمه الله، فإنه سمّى الظّاهر نصّا، وهو منطبق على اللّغة، ولا مانع منه في الشّرع. والنّص في اللّغة بمعنى الظهور.
- الثاني: وهو الأشهر، ما لا يتطرّق إليه احتمال أصلاً، ولا على قرب، ولا على بعد، كالخمسة مثلاً، فإنّه نصّ في معناه، لا يحتمل السّتّة ولا الأربعة وسائر الأعداد. ولفظ الفرس لا يحتمل الحمار والبعير وغيره. فكلّ ما كانت دلالته على معناه في هذه الدرجة، سمّي بالإضافة إلى معناه نصّا في طرفي الإثبات والنّفي.
- الثالث: التّعبير بالنصّ عمّا لا يتطرق إليه احتمال مقبول يعضده دليل. أمّا الاحتمال الذي لا يعضده دليل فلا يخرج اللّفظ عن كونه نصّا. فكأنّ شرط النّصّ بالوضع الثّاني أن لا يتطرّق إليه احتمالٌ أصلاً، وبالوضع الثالث: أن لا يتطرّق إليه احتمالٌ مخصوص، وهو المعتضد بدليل.".

إنّ الأوجه الثّلاثة التّي أوردها الغزالي في تحديد مفهوم النّصّ وتعريفه مهمّة لعلماء الأصول، إذ أنّهم يتعاملون مع النّصّ الإلهي، وقد أشار الغزاليّ أيضا إلى أنّ التّحديد الثّاني هو الأشهر والأوجه، وهذا ما ذهب إليه الكفوي والجرجاني فيما سبق، وقريبا منهما الفخر الرّازي.

ومن التّعريفات السّابقة ندرك بأن النّصّ لارتباطه بالقرآن الكريم والسّنّة المطهّرة أصبح يعني المفهوم الواحد المغلق، بمعنى أن النصّ هو " تأليف وتجميع لنواة الحقيقة، إذ إنّه تأليفٌ إلهي، أمّا التّأويل فهو تأليف إنساني"(9)، وهو قابل–أي التّأويل– للنّقد والتّقويم وإعادة القراءة.

2–3النص في الدّراسات النّقدية واللّسانية الغربيّة الحديثة:

اختلفت التّعريفات والتّحديدات للنصّ باختلاف المدارس والتّوجّهات النّقدية واللّسانية، وذلك لاختلاف زوايا النّظر للمصطلح.

يقول النّاقد زتسيسلاف واورزنياك [Zdzislaw Wawrzyniak] : " تُفهم النّصوص بشكلٍ حدسي ولغوي محض بأنّها وحدات لغويّة. وبالنّسبة لعلماء الأدب والنّصوص الأدبيّة هي أجناس معيّنة، مثل القصيدة والرّواية والقصّة، فالنصّ بوصفه مفهوماً لغوياً يميّز تعريفاً له "(10)، إذن فإنّ البنية المؤسّسة للنّص هي الملفوظات، وعلى هذا الأساس يصف كلاوس برينكر [Klaus BrinKer] النّصّ في كتابه

[التّحليل اللّغوي للنّصّ] بأنّه " وحدة لغويّة متماسكة "(11).

وبالنّسبة لتودوروف [Tzvetan Todorov] " فيمكن للنصّ أن يكون جملة، كما يمكنه أن يكون كتاباً تامّا، وهو يُعرف باستقلاله وانغلاقه "(12)، ويضيف في وصفه للنّصّ فيقول: " إنّه يكون نظاماً لا يجوز أن نطابقهُ مع النّظام اللّساني، ولكن أن نضعه في علاقة معه. إنها علاقة تجاوُرٍ وتشابُهٍ في الوقت نفسه "(13). إذن فالنّص يبدأ من الجملة وينتهي إلى مجموعة لا متناهية منها.

وتنطلق بعض التّصورات لمفهوم النّص " من فرضيّة أنّ النّص في الأساس يمكن تحديده، بأنّه مركّب بسيط من جمل تقوم بينها علاقات تناسق، وإزاء هذه الخلفيّة النّظرية فإنّ النّصوص عادةً تتمثّل فيها الخصائص الآتية:

- تعاقبٌ أفقيّ للجمل.
- الاستقلال النّسبي.
- التّناسق داخل تتابع الجمل.
- العلاقات الدّلالية بين المكوّنات السّطحيّة "(14).

ومن هذه الخصائص يتّضح بأنّ النصّ في أساسه ينبني على الجملة، إذ أنّ متتاليات جمليّة مترابطة ومتتابعة تكوّن نصّا متماسكاً ومتناسقاً بشرط أن تكون هناك علاقات دلاليّة تربط البنية السّطحيّة للنّص، أما رولان بارت [R.Barthe] فيرى بأنّ النّصّ يمثّل " السّطح الظّاهري للأثر الأدبي، وأنه نسيج الكلمات المشتبكة والمنظّمة بطريقة تفوّض معنى متيناً وراسخاً ووحيداً "(15). كما أنه يميّز أيضا بين النّص والعمل الأدبي،"فالعمل الأدبي هو ما يمكن أن نمسكه باليد، أو نجده على رفوف المكتبات. أما النصّ فتمسكه اللّغة، ودليل العمل الأدبي مَتْنُه، بخلاف دليل النصّ، فهو مفتوح على آفاق عديدة"(16).

ويتّضح من كلام رولان بارت أنّ النّصّ أوسعُ مجالا وأرحب أفقاً من العمل الأدبيّ، أي إنّ لفظ النّصّ يشمل العمل الأدبي ويشمل غيره، فالعلاقة بينهما –أي النّصّ والعمل الأدبي– علاقة عموم وخصوص.

وإذا ذهبنا إلى جوليا كريستيفا [Julia KRISTEVA] وجدناها تقارب مفهوم النّصّ وفقا لمحورين هما: (اللسان والمجتمع)، حيث تقول : " النّصّ يتموقع في الواقع الذّي ينتجه عبر لعبة مزدوجة تتمّ في مادّة اللّسان وفي التّاريخ الاجتماعي، إذ إنّه ليس تلك اللّغة التّواصليّة التي يقنّنُها النّحو، فهو لا يكتفي بتصوير الواقع أو الدّلالة عليه، ولكنّه أيضا يشارك في تحريك وتحويل الواقع الذّي يمسك به في لحظة انغلاقه، إنّه يرتبط بالواقع بشكل مزدوج: يرتبط باللّسان وبالمجتمع "(17).

ويربط بول ريكور [Paul Ricoeur] في كتابه [من النص إلى الفعل] النّصّ بالكتابة، فكلّ نصّ لا بدَّ أن يكون مكتوبا، حيث يقول : " لنسمِّ نصّا كل خطاب ثبَّتتهُ الكتابة، تبعا لهذا التعريف يكون التّثبيتُ بالكتابة مؤسّساً للنّصّ نفسه "(18).

إنّ النصّ لدى بول ريكور [P. Ricoeur] مرتبط ارتباطا وثيقا بالكتابة، فكلّ تتابعٍ جُمَلِيٍّ لا يكون نصّا إذا لم يُترجم إلى أحرفٍ مكتوبة لها بداية ولها نهاية. وهذا ما يطابقه تعريف النّاقد نورمان هولاند [Norman N-Holland] الذي يشير إلى أن النص هو وبشكل أبسط " ما على الصفحة من كلمات"(19). إذن فالكتابة هي المقيّدة للنّصّ، إذ هي من تجعلنا نميّز النصّ حسب ما ذهب إليه كلٌّ من بول ريكور ونورمان هولاند، إنّنا نجد من كلّ التّحديدات السّابقة بأنّ النّصَّ بمفهومه العام يندمج واللّغة، إذ إنّ اللّغة هي السِّمة الرّئيسة فيه.

بيدَ أنّ هناك من توسّع في تحديد مفهوم النّص من منطلق شموله كلَّ العمليّات الاتّصاليّة، وهذا ما يشيرُ إليهِ الألمانيّان فولفجانج هاينه من [Wolfgana Heinemann] و ديتر فيهفيجر [Dieter Viehweger] في كتابهما [مدخل إلى علم اللّغة النّصّي] بقولهما: " لوحظ أحياناً الميل إلى تجاوز الحدود باتجاه علم الاتّصال، إلى حدّ التّسوية بين علم اللّغة النّصّي وعلم الاتّصال. فعلم اللّغة النّصي بهذا المفهوم إذن يطمح أيضا إلى دراسة كلّ ظواهر الاتصال جميعا وشرائطها بوصفها مجالا للبحث "(20)، وبعد ذلك ينقلان تعريف كالماير [Kallmeyer] الذي يحدّدهُ بأنّه "مجموع الإشارات الاتّصاليّة التي ترد في تفاعل تواصلي"(21).

إنّ هذا التّعريف يحيلنا إلى اعتبار أنّ كلّ العمليّات التّواصليّة هي عبارة عن نصوص، فإشارات المرور وجرس المدرسة وصفّارة حكم مباريات كرة القدم وغيرها من العمليّات التّواصليّة التّي لا تستعمل اللّغة يمكن أن نَعُدَّها نصوصاً تُحيلُ إلى معانٍ ودلالات معينة؛ وتؤدي هذه المعاني عملا تداوليّا ، بحيث تحيل إلى الفعل والإنجاز.

وقد ورد هذا المفهوم في معجم تحليل الخطاب [Dictionnaire d’Analyse du Discours] حيث جاء فيه: " كلمة نصّ لا تحيل بالدّرجة الأولى على المكتوب، والمقابلة بين نصٍّ مكتوب وخطاب شفوي هو حصرٌ للفرق في الحامل أو الوسيط وحجبٌ لكون النّصّ في أغلب الوقت متعدّد السِّمات، فوصفة طبخ وإعلان إشهاري، أو مقال في جريدة، وخطاب سياسي ودرس جامعي أو تحادث لا تشتمل فقط على علامات لغويّة، فهي كذلك مقدودة من حركات وتنغيمات وصور"(22).

2-4من النّص إلى الخطاب

بعد أن درست اللّسانيات النّصّ وحاولت تحديد الإطار المفاهيمي له، انتقلت الدّراسات اللّسانيّة إلى دراسة ماهو أعمّ وأشمل من النّصّ؛ ألا وهو الخطاب، وهذا ما جعل إنقو فارنكي [Ingo Warnke] يقول:"وداعاً يانصّ – مرحبا بك يا خطاب ! لنتحدث من الآن فصاعدا عن لسانيّات الخطاب "(23).

إنّه وبعد اهتمام اللّسانيات بالجملة كوحدة أساسيّة للنّصّ ، تمّت الدّعوة من قِبَلِ النّقّاد واللّغويّين إلى ضرورة تأسيس لسانيّات تهتمّ بالخطاب، ومن بين هؤلاء رولان بارت [R.Barthe] الذي يقول: " لم تهتمّ اللّسانيّات بموضوعٍ أعلى من الجملة لأنّه لا يوجد بعد الجملة إلاّ جمل أخرى. إنّ عالم النّبات الذي يصف الزّهرة، لا يستطيع الاهتمام بوصف الباقة، ومع ذلك من الواضح أنّ الخطاب نفسه (بوصفه مجموعة من الجمل) منظّم، ويبدو من خلال هذا التّنظيم، كرسالة من لغة أخرى متفوّقه على لغة اللّسانيّين. للخطاب وحداته، قواعده، ونَحْوُه، وفيما وراء الجملة، فإنّ على الخطاب أن يكون على الرّغم من تركيبه من جمل فقط، موضوع لسانيّات ثانية بصورة طبيعيّة "(24). ثم يضيف بارت [R.Barthe] قائلا: " وعلى الرّغم من أنّ الخطاب يشكّل موضوعا مستقلا، إلاّ أنّه يجب أن يُدْرَسَ بالاعتماد على اللّسانيّات؛ إذا كان يجب تقديم فرضيّة عمل لتحليل مهمَّتُهُ كبيرةٌ جدّا، وموادُّه لا يمكن حصرها، فإنّه من المنطقي أن نبحث عن علاقة متماثلة بين الجملة وبين الخطاب"(25).

وبالفعل فقد ولّت اللّسانيات – بعد دراسة النّصّ– وجهها شطر "الخطاب"، إذ أولت اهتماما خاصّا بدراسة أنماط الخطابات، وقد تمَّ تجاوز مستوى النّصّ إلى مستوى أعلى منه، وهو مستوى الخطاب الذي يمثّل وعلى رأي بارت [R.Barthe] "جملة كبيرة (ليس بالضرورة أن تكون وحداتها جملا)، مثلما أن الجملة تشكل خطابا صغيرا"(26). وسنتطرّق فيما يلي من البحث إلى موضوع الخطاب، وسنحاول مقاربة مفاهيمه وتعريفاته المختلفة لغوّيا واصطلاحيا.

3-الخطاب [Discours]

3-1إشكالية المصطلح: يعدّ مصطلح الخطاب من المصطلحات المتداولة بشكل واسع على السَّاحة اللّغوية والنّقديّة، وخصوصاً أنّه يقترن بمصطلحاتٍ أُخرى لها علاقة بالعلوم والمعارف والمنتجات النّصّيّة، فمن الخطاب القرآني والخطاب السياسي إلى الخطاب الثقافي والخطاب الصّوفي، فالخطاب الشّعري والروائي... الخ. وكما هو الحال مع مصطلح النّصّ، فقد اختلف النّقاد أيضا في تحديد مفهوم محدّد

وواضح للخطاب، وذلك لاختلاف الخطابات واختلاف زوايا النّظر للمصطلح والمفهوم.

3-2الخطاب في المعجم العربي

جاء في لسان العرب لابن منظور [ت711هـ]، الجذر (خ/ط/ب): نقول خطب المرأة أي طلبها إلى الزّواج (...) والخُطبة برفع الخاء هي لون يضرب إلى الكدرة أو هي كذلك الخضرة وأخطب الصيد أي دنا وأمكن صيده. والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً وهما يتخاطبان"(27).

ويقول الزمخشري [ت538هـ] في [أساس البلاغة]: " خطبَ: خاطبهُ أحسنَ الخطاب، وهو المُواجهة بالكلام. وخطب الخطيب خُطبةً حسنة. وخطب الخاطب خِطبةً جميلة (...) واختطب القوم فلانا: دعوه إلى أن يخطب إليهم (...) وتقول له: أنت الأخطبُ البيّنُ الخُطبة، فتخيل إليه أنه ذو البيانِ في خطبته "(28).

وجاء في المعجم الوجيز:"خطب النّاس، فيهم وعليهم- خطابة، وخطبة: ألقى عليهم خطبة. وخاطبه مخاطبة وخطاباً أي كالَمهُ وحادثه، ووجَّه إليه كلاماً. ويقال: خاطَبهُ في الأمر أيْ حدَّثهُ بشأنه. والخطاب: الكلام والرِّسالَة "(29).

ونستطيع الاستنتاج بأنّ الخطاب في المعجم العربي هو عبارة عن منجزٍ كلامي، وهذا المنجز قد يتمظهر في أشكال وصور متعدّدة منها المخاطبة التّي تتعدّد بدورها، فقد تكون من مرسل إلى متلقّ واحد فهي محادثة، أو إلى جمعٍ من المتلقّين فتتحوّل إلى خُطبة.

3-3الخطاب في القرآن الكريم :

وردت ألفاظ مشتقّة من الجذر(خ/ط/ب) في القرآن الكريم بمعانٍ وصيغ مختلفة في اثنتي عشرة آية موزّعة على سور القرآن الكريم، نذكر منها ما جاء على معنيين هما كما يلي :

- معنى المخاطبة والكلام: قال الله [عزّ وجلّ]:
  - ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا٦٣﴾(30).
  - ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ٣٧﴾(31).
  - ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ٢٣﴾ (32).

بمعنى الفصل والحكم: قال الله [عزّ وجلّ] : ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾(33)، وفي هذه الآية يتحدّث الله [عزّ وجلّ] عن داوود [عليه السلام]، " وقد وقف عنده علماء التّفسير والبلاغة باعتبار الإضافة هنا تحيل إلى مستوى عالٍ من مستويات التخاطب "(34)، فبالرّغم من أنّ هناك بعض التّفاسير التّي تربط فصل الخطاب بالقضاء، فقد ورد في تفسير ابن كثير [ت774هـ] أنّ فصل الخطاب بمعنى "الشُّهود والأيمان أو إصابةُ القضاءِ وفَهمُه"(35).

إلاّ أنّ هناك بعض التّفاسير التّي نظرت إلى الخطاب كهِبةٍ إلهيّة للإنسان وهي الكلام، أو حسن الكلام والإفهام. فقد ذكر ابن الجوزي [ت597هـ] في تفسيره [زاد المسير] أقوالا عديدة في تفسير فصل الخطاب منها أنه " بيانُ الكلام ، وقيل إنَّهُ البيانُ الكافِي في كُلِّ غرضٍ مقصود"(36). وهكذا تتعدّد المعاني والتّفاسير لجملة فصل الخطاب، فمن قائلٍ أنّها القضاء، وقائل أنّها حسن الحديث والكلام.

وفي هذا الصّدد أورد أبو حيّان الأندلسي [ت745هـ] في تفسيره [البحر المحيط] بأنّه يجوز أن يُرادَ بالخطاب " القصدُ الذّي ليس فيه اختصارٌ مُخِل ولا إشباعٌ مُمِل، ومنه ما جاء في صِفَةِ كلام رسول الله [صلى الله عليه وسلم] فصلٌ لا نذرٌ ولا هذر"(37)، وهذا تقريبا ما ذهب إليه الإمام ابن الجوزي في تفسيره [زاد المسير].

ومن التّفاسير أيضا ما قاله الأُرمي العلوي:"فصل الخطاب أي الكلام الملخَّصُ المبيَّنُ الذّي ينبّهُ المخاطَبَ على المَرام من غير إلباس، فهو من إضافة الصّفة إلى الموصوف، والفصل إمّا بمعنى الفاعل أو المفعول أو الإفصاح، والبيان في الخطاب والكلام؛ أي : البيان بحقيقة الأمر، وقطع القضايا والأحكام باليقين من غير ارتياب، ولا شكّ، ولا توقّف"(38).

أمّا بالنّسبة للفخر الرّازي [ت604هـ] " فقد عدّ هذه الصّفة – فصل الخطاب– من الصّفات التّي منحها الله تعالى لنبيّه داوود [عليه السلام]، معتبراً إيّاها من علامات تحقّق قدرةِ الإدراك والشّعور؛ التّي يمتاز بها الإنسان على أجسام العالم الأخرى من أنواعِ الجمادات والنّباتات وجملة الحيوانات"(39).

وقد تنبّه الإمام الفخر الرازي إلى هذا المعنى لأنّه لم يكن مفسّرا وفقط، بل كان من المتكلّمين، أي من الذّين يدرسون العقائد والملل والنّحل المختلفة، والمتكلّم عادةً ما يكون قد اطّلع على الفلسفة وعلم المنطق، وهذا ما أدّى به إلى إيراد المعنى السّابق.

يقول الفخر الرازي [ت604هـ] في هذا الصّدد:"النّاسُ مختلفون في مراتبِ القدرة على التّعبير عمَّا في الضَّمير فمنهم من يتعذَّر عليه إيرادُ الكلام المرتّبِ المنظّم بل يكون مختلط الكلام مضطربَ القول، ومنهم

من يتعذّر عليه التّرتيب من بعض الوجوه ، ومنهم من يكون قادراً على ضبطِ المعنى والتّعبير عنه إلى أقصى الغايات، وكلّ من كانت هذه القدرة في حقه أكمل؛ كانت الآثار الصّادرة عن النّفس النّطقية في حقّه أكمل، وكلّ ما كانت تلك القدرة في حقّه أقل؛ كانت تلك الآثار أضعفْ "(40).

ثمّ يستطرد الرّازي قائلا:"ولمّا بيّن الله تعالى كمالَ حال جوهر النّفس النُّطقية التّي لداوود [عليه السلام] بقوله: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾، أردفه ببيان كمال حاله في النّطق واللّفظ والعبارة فقال:﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾، لأنّ فصل الخطاب عبارةٌ عن كونه قادراً على التّعبير عن كلّ ما يخطر بالبال ويحضرُ في الخيال بحيث لا يختلط شيءٌ بشيء، وبحيث ينفصل كل مقامٍ عن مقام"(41).

إنّ الوجه الذّي أورده الرّازي هو الأقرب إلى المعنى الصّحيح، إذ إنّ سياق الآية يشير إلى ذلك، فداوود [عليه السلام] حينما شدّ الله تعالى ملكه، زاده ميزة من أهمّ ميزات الملوك، ألا وهي الحكمة الكلاميّة، فإذا كانت الحكمة وضع الشّيء في موضعه، فالحكمة الكلاميّة هي قول الكلام في مقامه وسياقه المطلوب.

3-4الخطاب في التّراث الأصولي و اللّساني العربي:

تمّ تداول مصطلح (الخطاب) في التّراث العربي والإسلامي مرتبطا بحقل أصول الفقه؛ فقد تمّ استعمال المصطلح في المدوّنة الأصوليّة بشكل كبير، وذلك أنّ مدار البحث الأصولي هو معرفة القواعد المعرفيّة في استنباط الأحكام من الخطابات والنّصوص الدّينيّة والتّي تمثّلت فيما يلي :

- الخطابات الإلهيّة والتّي تمظهرت في القرآن الكريم.
- الخطابات النّبويّة والتّي تمظهرت في السُّنة المطهّرة .

وقد استعمل الإمام السّبكي [ت756ه] الخطاب بمعنيين حدّدهما في قوله :"فحصل في الخطاب قولان أحدهما أنّه الكلام، وهو ما تضمّن نسبةً إسناديّة، والثّاني أنّه أخصُّ منه وهو ما وُجِّهَ من الكلامِ نحوَ الغيرِ لإفادته "(42).

أمّا الإمام الآمدي [ت631ه] فقد عرّفه تعريفاً دقيقاً فقال: " اللّفظ المتواضع عليه المقصود بهِ إفهامُ من هُو متهيءٌ لفهمه "(43).

وقد وافقهما الإمام الزركشي [ت794ه] إلى حدٍّ كبير وذلك بتعريفه للخطاب بقوله : " إنه الكلامُ المقصودُ منه إفهام من هو متهيءٌ للفهم، وعَّرفهُ قومٌ بأنه ما يُقْصَدُ به الإفهام أعمّ من أن يكون من قُصِدَ

مُتهيّأٌ أمْ لا "(44).

إنّ التّعريفات والتّحديدات السّابقة تحيلنا إلى ربط الخطاب بالكلام، فالخطاب لدى القدماء يتشكّل من الألفاظ الموجّهة نحو الغير من أجل الإفهام. وسواء كان المُخَاطَبُ والموجّه إليه الكلام قادراً على الوعي بالكلام أو غير قادر؛ فإن الخطاب ما ينطلق من لسان المخاطِب قاصداً به الإفهام.

إذن"فالتّواصل هو مدار كل خطاب، والوسيلة التي تعمل على تحقُّقه هي اللّغة، لذا لا يمكن الاعتداد بأشكال التّواصل الأخرى واعتبارها خطابات؛ لعدم تحقّق الشّرط اللّغوي فيها"(45)، فالأصوليون انطلقوا في تحديدهم لمفهوم الخطاب من أرضيّة أنّهم يتعاملون مع النّصّ القرآني الذّي هو خطاب إلهي تمظهر في قوالب لّغوية من أجل إيصال المعنى الذي يُسْتَنبط منه الحكم الشّرعي.

ووسّع الإمام الكفوي [ت1094هـ] في معجمه [الكلّيات] مفهوم الخطاب، فقد جعله " مفهوما أكثر شمولا، لا ينحصر في الدّلالة الظّاهرة فقط، وإنما اعتبر الكلام النّفسي جزءا لا يتجزّأ من الخطاب، ومن ثمَّ يتحتَّم أخذه بالحسبان"(46). فقال:"والخطاب إما الكلامُ اللفظيُّ أو الكلام النفسيُّ الموجَّهُ نحوَ الغيرِ للإفهام"(47).

ونجده يُحدّد الخطاب في موضع آخر بفهمٍ ووعيٍ أكثر بالمصطلح فيقول:"الخطاب هو اللّفظ المتواضَعُ عليه المقصودُ به إفهام من هو متهيءٌ لفهمه احترز (باللّفظ) عن الحركات والإشارات المفهمة بالمُواضعة و(بالتّواضع عليه) عن الألفاظ المهملة، و(بالمقصود به الإفهام) عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع فإنّه لا يسمّى خطابا، و(لمن هو متهيءٌ لفهمه) عن الكلام لمن لا يفهم كالنّائم"(48).

ونلاحظ في تعريف الكفوي أنه قد حدَّد بدقّة متطلّبات الخطاب، فهو – أي الخطاب – ما كان متواضَعاً عليه؛ بحيث تكون اللّغة مفهومة للمخاطَب لأن القصد من [المُخَاطِبِ] هو الإفهام، ولابدّ على [المُخَاطَبِ] أن يكون واعياً للخطاب الموجّه له؛ بحيث يكون عاقلا وفي حالة إدراكٍ تسمح له بفهم الخطاب الموجَّه نحوه.

3-5الخطاب في الدّراسات النّقديّة واللّسانيّة الغربيّة:

ينحدر مفهوم الخطاب في الفكر الغربي من الفلسفة اليونانيّة، إذ أشار بول ريكور [P-Ricoeur] في كتابه [نظرية التأويل] إلى أنَّ مفهوم الخطاب نشأ في سياق محاورات أفلاطون حول صدق الكلمات، وقضيّة الصّحيح والخطأ منها. فأفلاطون في محاورته لقراطيلوس " أوضح أن ملكةَ الصّدق في الكلمات

أو الأسماء المعزولة يجب أن تبقى غير محسومة لأنّ التّسمية لا تستنفد قوّة الكلام أو وظيفته. ويتطلّب لوغوس الكلام أو قانونه اسما وفعلا في الأقل"(49).

ويضيف ريكور [P-Ricoeur]:"كان ذلك هو السّياق الأول الذي اكتُشِف فيه مفهوم الخطاب: أي إنّ الخطأ والصّواب هما آثار الخطاب، ويتطلّب الخطاب إشارتين أساسيّتين هما الاسم والفعل، يرتبطان في تركيبٍ يتخطّى حدود الكلمات كلٌّ على حدة. ويقول أرسطو الشّيء نفسه في مقاله عن التّأويل. ففي رأيه أنّ للاسم معنًى، وللفعل فضلا عن انطوائه على معنى إشارة إلى الزّمن. وارتباطهما وحده هو الذّي يحقّق الرّابطة الإسناديّة، التّي يمكن أن تسمَّى لوغوسا أو خطابا. وهذه الوحدة التّركيبيّة هي التّي تفيد معنى الفعل المزدوج في الإثبات والنَّفي"(50).

والذي يلاحِظُ توصيف ريكور [P-Ricoeur] للجذور القديمة الأولى لمفهوم (الخطاب)، يجد أنَّ قضيّة (الخطاب) ارتبطت باللّغة، ففلاسفة اليونان الأوائل كانوا ينظرون إلى اللّغة بوصفها خطاباً إذا تضمّنت ركنين أساسيّين؛ هما الاسم والفعل، بحيث يصدران في قالبٍ لغويّ خطّي، ويرتبطان ليكوّنا معاً عمليّة إسناديّة (مسند/مسند إليه)، إنّ اللّوغوس أو الخطاب لكي يؤدّي وظيفته الإفهاميّة، يستدعي أن يتشكّل من اسم وفعل، فالاسم له معنى، والفعل له معنى يرتبط بزمن، ومعا يشكّلان الخطاب.

وبالنّسبة للعصر الحديث فيشير محمّد مفتاح إلى " أنَّ التّحليل- نصّا وخطابا- قد نشأ في حضن لسانيّات الجملة، ولم تراعَ في الجملة إلا صحَّةُ التّركيب واتّساق المعنى بغضِّ النّظر عن انسجامه مع سياقه "(51).

لقد توقّفت اللّسانيّات الحديثة عند الجملة بوصفها الوحدة الأساسيّة للخطاب، فالخطاب"لا يمتلك شيئاً خارج الجملة"(52) حَسَبَ رولان بارت [R.Barthe]، إذ إنّ الحدث اللّغوي لن يكون خطابا، إلا إذا تضمّن وظيفةً إسناديّة، تعطيه معنى متصوَّراً ومفهوما.

وعلى هذا الأساس يبني بول ريكور [P-Ricoeur] رؤيته للأساس القاعدي للخطاب إذ يقول:"إذا كانت العلامة الصّوتيّة والمعجميّة وحدةَ أساسِ اللّغة، فإنّ الجملة هي وحدةُ أساس الخطاب. فلسانيّات الجملة هي من تدعم جدل الحدث والمعنى"(53). وهذا ما يؤكّده ميشيل فوكو [Michel Foucault] بقوله:"الجملة بالنّسبة للّغة هي كالتّصور بالنّسبة للفكر: تشكُّلُها الأعمُّ والأكثرُ بدائيّة، لأنّنا ما أن نفكّكها حتى لا نعودُ نصادفُ الخطاب وإنّما عناصره كمواد مبعثرة "(54).

إنَّ ما أورده كلٌّ من رولان بارت [R.Barthe] و بول ريكور [P.Ricoeur] وميشيل فوكو [M.

Foucault] بخصوص الخطاب يؤكّده ما ذهب إليه محمد مفتاح من أنَّ لسانيّات الجملة كانت هي الحاضنة الأولى للخطاب، فقد نشأ ضمن دراسات لسانيّات الجملة.

إنّ التّمييز الذّي حصل من اللّسانيّات الحديثة بين " الثّنائيّة [لغة/كلام] على يد فرديناند دوسوسير [Ferdinand De Saussure] والثّنائيّة [تصوّر/استعمال] عن طريق لويس هلمسليف [Louis Hjelnslev]، من هذا التّمييز استنتجت نظريّة الخطاب كلّ خلاصاتها الابستمولوجيّة "(55)، فقد كان لجهود دوسوسير [F. De Saussure] وهلمسليف [L. Hjelnslev] من خلال الفصل بين الثّنائيّات والتّمييز بينها الأثر البالغ في بناء نظريّة خاصّة بموضوع الخطاب.

ويحاول بول ريكور[P. Ricoeur] تفكيك مفهوم الخطاب انطلاقاً من التّمييز الثّنائي بين [لغة/كلام] و[تصور/استعمال] وفقا لما يلي:

3-5-1الخطاب بوصفه واقعة لغويّة:

انطلاقا من التمييز اللساني يعرف بول ريكور [P-Ricoeur] الخطاب بقوله:"الخطاب هو الواقعة اللغوية "(56)، بمعنى أنه حدثٌ لغوي حدث في زمنٍ ما.

ويتوسّع في كتابه [من النص إلى الفعل] في تفسير الواقعة اللّغوية فيقول:"إنّ القول بأنّ الخطاب حدثٌ ما؛ يعني أولاّ قول أنّ الخطاب قد تحقّق زمنيّا وفي الحاضر، فالخطاب يحيل على متكلّمه عن طريق مجموعة مركّبة من المؤشّرات، كالضّمائر؛ سنقول في هذا الاتّجاه أنّ للخطاب مرجعيّة؛ فخاصيّة الحدث ترتبط الآن بشخصِ المتكلّم؛ والحدث يكمُنُ في كون أحدٍ ما يتكلّم، أحد ما يعبّرُ بأخذ الكلمة. والخطاب حدثٌ ثالثا بمعنى : في الوقت الذّي لا تحيل فيه علامات الكلام سوى على علامات أخرى داخل نفس النّسق وتخلص على أنّه لم يعد هناك من عالم للّغة أكثر ممّا لها من زمن وذاتيّة؛ ويكون الخطاب دائماً على علم بشيء ما: يرجع إلى عالم ينوي وصفه، والتّعبير عنه أو تصويره (...) وليس للخطاب عالم فحسب، بل عالم ثانٍ، شخص آخر، مخاطبٌ موجَّه إليه"(57).

إنَّ هذه الأوصاف والسّمات المتعدّدة حينما تترابط وتجتمع في إطارٍ ما، فإنّها تدخل في تشكيل تلك (الواقعة اللّغويّة) التّي تحيل أذهاننا بشكلٍ متدرّج إلى الخطاب.

وبعد تفسيره للواقعة اللّغويّة يشير بول ريكور[P. Ricoeur] إلى الخطاب بوصفه مشكّلا من اسم وفعل مترابطين ترابطاً إسناديّا.

3-5-2الخطاب بوصفه إسنادا:

يرى ريكور [P-Ricoeur] أنّ الجملة "تتميّز بسِمةٍ واحدة متميّزة، ألا وهي أنّ لها محمولا [predicat] أومسندا. ومادام المسند إليه المنطقي الأصيل هو حامل الهوية المفردة، فإن ما يقوله عنه المسند يمكن معالجته دائما بوصفه الملمح الكلّي للمسند إليه"(58)، فالمسند إذن هو من يعطي للمسند إليه معنى ومفهوما واضحاً، يؤدّي إلى جملة أوّليّة تساهم في بناء الخطاب.

وعلى أساس الطّبيعة الإسناديّة للجملة فإنَّ ما سمّاها بالواقعة اللّغويّة ليست "وحدةً لا عقليّة تحدث وتختفي، كما يوحي التّضاد بين اللّغة والكلام. فالخطابُ ذو بنيةٍ خاصّة به، ليست هي بنية التّحليل البنيوي، أي بنية الوحدات المنفصلة المعزولة عن بعضها، بل بنية التّحليل التّأليفي، أي التّواشيج والتّفاعل بين وظيفتي التّحديد والإسناد في الجملة الواحدة "(59).

3-5-3جدل الواقعة والمعنى:

لا يكفي للواقعة أو الحدث اللّغوي أن يشكّل خطاباً إذا لم يتفاعل وهويّة شيء ما، فالخطاب " من حيث هو واقعة أو قضيّة أو خبر أي من حيث هو وظيفة إسناد متداخلة ومتفاعلة بوظيفة هويّة هو شيء مجرّد، يعتمد كلّ عينيٍّ ملموس هو الوحدة الجدليّة بين الواقعة والمعنى في الجملة "(60)، وعلى هذا الأساس فإنَّ الخطاب " إذا تحقّق كلّه بوصفه واقعة، فُهِمَ الخطابُ كلّه بوصفه معنى"(61).

إنّ الواقعة اللّغويّة إذا حدثت في زمن ما، وكانت الواقعة ذات طبيعة إسناديّة متضمَّنٌ فيها الثّنائيّة (مسند/مسند إليه)، فإنّها تحيل إلى الذّهن معنى يمكن أن نقول عنه بأنّه خطاب، والخطاب بعد وصفه واقعة لغويّة تؤدّي وظيفة إسناديّة، فإنّه يكون ذا فعلٍ تحاوريّ، أي أنّه لن نسمّي الخطاب خطابا إلاّ إذا كان بين طرفين، المرسل والمتلقّي، أي إنَّ الفعل التّحاوري هو من يبيّن الخطاب ويظهره ويجلّيه، سواءٌ أكان هذا التّحاور مباشراً أو غير مباشر.

3-5-4الفعل التّحاوري:

يذهب ريكور[P-Ricoeur] إلى أنّ " من أوجُهِ الخطاب المهمّة أنّه يتوجَّهُ إلى شخص ما. فهناك متكلّم آخر هو متلقّي الخطاب. وحضور هذين الاثنين: المتكلّم والمستمع، هو الذّي يشكّل اللّغة بما هي اتّصال "(62)، فشرط الخطاب، لكي نسمّيه خطاباً أن يكون ضمن دَارة تواصليّة تكون بين طرفين على

الأقل؛ هما (المرسل/المتلقّي)، حيث يتمُّ فهم الخطاب وتأويله ضمن أطر ثقافيّة متواضع عليها بين الطّرفين، وقد يلعب السّياق دوراً هامّا في ترجمة كثير من الخطابات.

إنّنا في لحظة الحديث مع متلقٍّ ما؛ نتحدَّث ونشير باتّجاه الشّيء الخاص الذي نتحدَّث عنه، وذلك "بفضل استخدام الوسائل العامّة مثل أسماء الأعلام والضّمائر وأوصاف التّحديد. وأنا أساعد الآخر على تحديدٍ ما أشير إليه بفضل الوسائل النّحويّة التّي تضفي على التّجربة الفرديّة بُعداً اجتماعيّا. ويصحُّ الشّيء نفسه على البُعد الكُلّي للمسند إليه الذي ينقله البُعد التّوليدي للكيانات المعجميّة. ويقوم هذا المستوى الأوّل من الفهم المتبادل دون شيء من سوء الفهم، فكثيرٌ من كلماتنا متعدّدة المعاني: فيها أكثر من معنى واحد غير أنَّ الوظيفة السّياقيّة للخطاب تتمثّل في حجب المعاني في الكلمات وتقليص الاستقطاب في أقلّ عدد ممكن من التّأويلات "(63)، ذلك أنَّ السّياق يعمل دور المحدِّد أوالضّابط للمعنى المُراد من المرسل، إذ من غيره قد يحتمل الخطاب معانٍ مختلفة ومتعدّدة، تكون هذه المعاني بعيدة عن المقصود الرّئيسي الذي يريده المرسل من الخطاب.

ومن بين من عالج مفهوم الخطاب وحدّد مفاهيمه من النّقاد والفلاسفة الغربيّين ميشيل فوكو [Michel Foucault] الذي عدَّ الخطاب "أساساً للفعل الثّقافي، فهو يجمل فيه كلَّ أشكال الحياة الثّقافيّة وتصنيفاتها، فأعمال فوكو في مجملها 'بحث في أنواع الخطاب' "(64)، فالخطاب بالنّسبة **لفوكو** [M. Foucault] هو المرجع الأساسي والمستند الرّئيس لأيِّ عمليّةٍ ثقافيّة، إذ لا ينتج عن الإنسان أيّ فعلٍ ثقافي أو نشاطٍ فكريٍّ دون خطابات متعدّدة ومتنوّعة.

ويرى فوكو [M-Foucault] بأنّ الخطاب " يُفلت من كلِّ تحديد، سواءٌ أكان منطقيّا أو نحويّا أو بلاغيّا بقدر ما تكون فيه هذه التّحديدات وليدةَ قدرةِ الخطاب على إخفاء أصله في عمل دوال هي مدلولات نفسها"(65). وربَّما "هذا ما يوحي به جذر هذه الكلمة الهندوروبي [Kers] وصيغته اللاّتينيّة [Dis] أي باتّجاهات مختلفة + [Currere] أي يركض"(66).

إنَّ عدم تحديد الخطاب لنفسه، أو بتعبير فوكو [M-Foucault] إفلاته من كلّ تحديد، يجعل من الصّعوبة بمكان على الدّارسين والباحثين تضييق مفاهيمه أو تعريفه تعريفاً دقيقا، ولكن هذا لا يمنع من مقاربته من ناحية وظائفه وأنواعه وأنماطه.

ويذهب فوكو [M-Foucault] إلى أنَّ الخطاب هو " مجموعة من العبارات بوصفها تنتمي إلى ذات التّشكيلة الخطابيّة، فهو ليس وحدة بلاغيّة أو صوريّة قابلة لأن تتكرّر إلى ما لا نهاية يمكن الوقوف على

ظهورها واستعمالها خلال التّاريخ مع تفسيره إذا اقتضى الحال، بل هو عبارة عن عدد محصور من العبارات التّي نستطيع تحديد شروط وجودها"(67)، فالخطاب إذن لدى فوكو [M-Foucault] يعدُّ تشكيلة متناسقة، وكيانا مستقلاّ ومتماسكاً، فهو يعمل دوراً رئيسيّا في تشكيل الوعي الثّقافي والفكري، وكما أنّه إنتاجه يتمُّ وفقاً لعملية اجتماعية معقّدة.

ونظراً للانفتاح الدّلالي الذي تتميَّز به اللّغة وكلماتها وألفاظها، فإن أيَّ خطابٍ حينما ينطلق من (مرسل) إلى (مرسل إليه) لا يأخذ صيغته الإفهاميّة ولا التّداوليّة إلاّ إذا انحصر ضمن سياقاتٍ معلومة ومتعارف عليها بين طرفي الخطاب.

4-خاتمة:

بعد حصيلة قراءة وتتبّع للمسار المفاهيمي للمصطلحات المقصودة من الدراسة (النص والخطاب)، من خلال التراث اللغوي والأصولي العربي وكذا الدراسات اللغوية واللسانية الحديثة رصدنا مجموعة من النّتائج هي كالتّالي:

- تم الاهتمام بدراسة المصطلحين (نص/خطاب) من طرف الباحثين والدارسين في حقل اللسانيات واللغويات، كما أن لهما حصة من الدراسة والبحث والتحديد المفاهيمي ضمن الحقول اللغوية والأصولية في التراث العربي الإسلامي.
- النصّ يسجل حضوره في الاستعمالات اليوميّة للإنسان، فهو يفرض وجوده من منطلق أنه عنصر أساسيّ في الحياة الاجتماعية.
- ارتبط النّص بالقرآن الكريم والسّنّة المطهّرة فأصبح يعني لدى الأصوليين المفهوم الواحد المغلق، الذي لا يقبل أي تأويل، بمعنى أن النصّ هو تأليف وتجميع لنواة الحقيقة، إذ إنّه تأليفٌ إلهي، أمّا التّأويل فهو تأليف إنساني، وهو قابل-أي التّأويل- للنّقد والتّقويم وإعادة القراءة.
- النص في أساسه ينبني على الجملة، إذ أنّ متتاليات جمليّة مترابطة ومتتابعة تكوّن نصّا متماسكاً ومتناسقاً يندمج واللّغة، إذ إنّ اللّغة هي السِّمة الرّئيسة فيه.
- في الدراسات اللسانية والنقدية الحديثة تم الانتقال إلى دراسة ماهو أعمّ وأشمل من النّصّ؛ ألا وهو الخطاب.
- ربط الدرس الأصولي الإسلامي الخطاب بالكلام، فالخطاب لدى الأصوليين يتشكّل من الألفاظ الموجّهة نحو الغير من أجل الإفهام. وسواء كان المُخَاطَبُ والموجّه إليه الكلام قادراً على الوعي بالكلام أو غير قادر؛ فإن الخطاب ما ينطلق من لسان المخاطِب قاصداً به الإفهام.

- يعد الخطاب المرجع الأساسي والمستند الرّئيس لأيّ عمليّةٍ ثقافيّة، إذ لا ينتج عن الإنسان أيّ فعلٍ ثقافي أو نشاطٍ فكريٍّ دون خطابات متعدّدة ومتنوّعة.
- إنَّ الوظيفة السياقيّة للخطاب ستُمكّن المتلقّي من إلغاء التّأويلات والمعاني المتعدّدة للألفاظ المنفتحة الدّلالة. إذن فإنّ السّياق له دورٌ مهمٌّ في عمليّة الخطاب.

5-قائمة المراجع:

1- نورمان فاكلوف، 2009م، تحليل الخطاب – التحليل النصي في البحث الاجتماعي-، ترجمة: طلال وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، ص22.
2- ابن منظور جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، تحقيق: ياسر سليمان أبو شادي، مجدي فتحي السيد، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، مصر، دط،ج14، ص177-178.
3- إبرير بشير ، مفهوم النص في التراث اللساني العربي، مقال من مجلة جامعة دمشق، المجلد 23، العدد الأول، 2007م، دمشق، سوريا، ص117.
4- الكفوي الحسيني أبو البقاء أيوب بن موسى، 1998م،الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت،لبنان، ط2، ، ص908.
5- الشريف الجرجاني علي بن محمد، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، دط، ص202-203.
6- عبد الوهاب طويلة،2000م،أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، دار السلام للطباعة، ط2،ص272.
7- الرازي فخر الدين، المحصول في علم أصول الفقه، تحقيق: طه جابرالعلواني، مؤسسة الرسالة، دط،ج5، ص139.
8- الغزالي أبو حامد،1997م،المستصفى من علم الأصول، تحقيق: محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1،ج2، ص48-49.
9- عمارة ناصر،2007م،اللغة والتأويل-مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي- دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، ص112.
10-زتسيسلاف واورزنياك، 2003م،مدخل إلى علم النص –مشكلات بناء النص-، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،ط1،ص53.
11- كلاوس برينكر، 2005م،التحليل اللغوي للنص، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط1، ص31
12-عياشي منذر ، 2002م، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1، ص122.
13-المرجع نفسه، ص122.
14-فولفجانج هاينه من و ديتر فيهفيجر،1999م،مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض،السعودية، ص25.
15-عزّام محمد، 2001م،النص الغائب،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا، ص18.
16-المرجع نفسه، ص18.
17-كريستيفا جوليا،1997م،علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال ، الدار البيضاء، المغرب، ط2، ص9-10.

18-ريكور بول،1001م،من النصّ إلى الفعل، ترجمة: محمد برادة وحسّان بورقيّة، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، ط1،ص105.
19-نورمان هولاند، 1999م، الوحدة الهوية النص الذات، ضمن كتاب : نقد استجابة القارئ من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية لمجموعة من المؤلفين، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم، المجلس الأعلى للثقافة، العراق، ص213.
20-فولفجانج هاينه من و ديتر فيهفيجر، مرجع سابق، ص8.
21-المرجع نفسه، ص8-9.
22-باتريك شارودو-ودومينيك منغنو،2008م.معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري-حمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ص553-554.
23-كورنيليا فون راد صكوحي، 2008م،لسانيات النص،منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات بجامعة منوبة، وحدة البحث في تحليل الخطاب، تونس، ص75.
24-بارت رولان / جينيت جيرار،2001م،من البنيويّة إلى الشّعريّة، ترجمة: غسّان السّيد، نينوى للدّراسات والنّشر، دمشق، سوريا، ط1، ص16-17.
25-المرجع نفسه، ص17.
26- المرجع نفسه، ص17.
27-ابن منظور، مرجع سابق، مادة (خ/ط/ب)، ج4، ص155-156.
28-الزمخشري،1998م،أساس البلاغة، تحقيق:محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،ج1، ص255.
29-المعجم الوجيز، 1980م، مجمع اللغة العربية، مصر، ط1،ص202.
30-سورة الفرقان، الآية: 63.
31-سورة هود، الآية: 37.
32-سورة ص، الآية: 23.
33-سورة ص، الآية: 20.
34-لطفي فكري محمد الجودي،2014م جمالية الخطاب في النص القرآني، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط1، ص73.
35-ابن كثير أبو الفداء اسماعيل، 1999م، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط2،ج7،ص59.
36-ابن الجوزي أبو الفرج،1984م،زاد المسير في علم التفسير،المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، ج7 ، ص112.
37-أبو حيان الأندلسي،1993م، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود/ علي محمد معوض/زكريا عبد المجيد النوني/أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ، ج7 ، ص374-375.
38-الهرري محمد الامين،2001م،حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط1،ج24 ، ص337.
39-الشهري عبد الهادي بن ظافر،2004م،استراتيجيات الخطاب - مقاربة لغوية تداولية-،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1،ص35.
40-الرّازي محمّد فخر الدين،1981م،مفاتيح الغيب،دط،دار الفكر،بيروت، لبنان،ط1،،ج26، تفسير سورة ص، ص187.

41-المرجع نفسه، ج26، ص188.
42-السّبكي علي بن عبد الكافي وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، 2004م،الإبهاج في شرح المنهاج، تحقيق: أحمد جمال الزمزمي/نور الدين عبد الجبار صغيري، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات، ط1، ج2، ص120.
43-الآمدي علي بن محمد،2003م،الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق:عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، الرياض، السعودية، ط1،ج1،ص132.
44-الزركشي بدر الدين،1992م،البحر المحيط في أصول الفقه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط2،ج1، ص126.
45-لطفي فكري محمد الجودي،مرجع سابق، ص75.
46-المرجع نفسه، ص76.
47-الكفوي، مرجع سابق، ص419.
48-المرجع نفسه، ص419.
49-ريكور بول ،2006م،نظرية التأويل- الخطاب وفائض المعنى-، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2،ص23.
50-المرجع نفسه، ص24.
51-مفتاح محمّد ، 1996م،التّشابه والاختلاف – نحو منهجيّة شموليّة –، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، ، ص34.
52-بارت رولان / جينيت جيرار، مرجع سابق، ص16.
53-ريكور بول ، من النصّ إلى الفعل، مرجع سابق، ص80.
54-فوكو ميشيل،1989/1990م،الكلمات والأشياء، ترجمة: مجموعة من الباحثين، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ص95.
55-ريكور بول ، من النصّ إلى الفعل، مرجع سّابق، ص79.
56-ريكور بول ، نظرية التأويل، مرجع سابق، ص34.
57-ريكور بول ، من النصّ إلى الفعل، مرجع سابق، ص80.
58-ريكور بول ، نظرية التأويل، مرجع سابق، ص36.
59-المرجع نفسه، ص37.
60-المرجع نفسه، ص37.
61-المرجع نفسه، ص38.
62-ريكور بول ، نظرية التأويل، مرجع سابق، ص42.
63-المرجع نفسه، ص45.
64-جون ستروك،1992م،البنيوية وما بعدها،ترجمة:محمد عصفور،عالم المعرفة،الكويت، ص98.
65-ينظر: المرجع نفسه،ص103.
66-المرجع نفسه، ص98.
67-ميشيل فوكو،مرجع سابق، ص108.